للواقع لا ينشأ منه كبر للممدوح لخرج ابى عدى المرموز له بقوله عد عن ابى عمر رضى الله عنه انه عليه السلام
قال لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين بفتح اللام لرجح اى لغلب ايمانه ايمانهم قوة وشدة وفى الحديث
دليل الاشعرى ان الايمان بمعنى التصديق مشكك قابل للزيادة والنقصان ورواه البيهقى المرموز له بقوله
ق عن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام لو كان بعدى نبى فقضية شرطية لا تستلزم وجود موضعها
فلا يعارض قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين لكان عمر ابن الخطاب وهذا غاية الثناء
ونهاية المدح ولكن استدراك مما يوهم اطلاق جواز المدح فى كلامه سابقا فقال لجوازه بشروط
خمسة الاولى ان لا يكون المدح لنفسه لان تزكية النفس لا يجوز قال تعالى ولا تزكوا انفسكم
لا تمدحوها ولا تنسبوها الى الطهارة ولا تجعلوا ابطا عنكم وفى صحيح مسلم عن ابى عطا سميت ابنتى
برة فقالت زينب بنت ابى سلمة ان رسول الله نهى عن هذا الاسم فقال لا تزكوا انفسكم الله اعلم
باهل البر منكم والنهى واصله التحريم وعلل النهى بقوله هو اعلم بمن اتقى فربما ينسبون لحمد الى التقوى
والله يعلم انه ليس كذلك وفى حكمها اى النفس مدح ما يتعلق بها من الاولاد كان يمدح اولاده بكمال الخصال
منه لان ذلك يعود لمدح النفس اما مدحه بكمال خصلة من غيره فيجوز لعدم استلزامه مدح نفسه
والاباء والتلامذة والتصانيف لعود مدحه ذلك اليه بالاخرة كما قال ونحوها اى المذكورات بحيث
يستلزم مدحه مدح المادح للملازمة ومرابطة قيل لحكيم ذى حكمة بالغة ما الصدق القبيح
المطابق للواقع والا كان كذبا فيكون قبيحا لوجهين القبيح مع اتصافه بالصدق شرعا للنهى
عنه وعرفا لنفرة الطبع منه قال ثناء المرء على نفسه فى كل حال الا حال ان ينوى به التحدث وفى
نسخة التحديث بنعمة الله تعالى عليه امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث او ينوى اعلام
تعريف حاله للسامع من العلم ومكانه فيه والعمل ليأخذوا عنه العلم لمكانه وعليه يحمل مدح اولى
التقى لمصنفاتهم وحمل ذلك منهم ايضا على النصيحة وتعريف محال النفع مع قطع النظر
عن اضافتها اليهم وليقتدوا به فى العمل الملازمة له تخلصا فيه او ليعطوا اى الناس معونة ما
ذكر منه حقه حق المادح من بيت ولى المال فيجوز للعالم ذكر منزلته من العلم عند السلطان
او نائبه ليعين له ما يقوم بكفايته او يدفعوا اى الناس معونة الظلم كلا لئنه قدره او نحو ذلك
من المقاصد الجميلة شرعا وعرفا ما لم يقصدوا اى المادح به التزكية التطهير لانفسهم
والفخر على غيرهم لخرج الترمذى وابن ماجة المرموز لهما بقوله ت جه عن ابى سعيد الخدرى
انه قال عليه السلام تبليغا للامة ما يجب عليها اعتقاده انا سيد ولد ادم ونهيه عليه السلام عن
تفضيله على الانبياء محمول على فى النبوة او اذا ادى الى احتقار المفضل عليه او اذا افضى لخصومة
او كان من قبل الرأى اذ لا مجال له فيه او قاله عليه السلام قبل علمه بعلو مقامه فلما اخبر به ولا فخر لى بذلك

٢٠

بل بعبودية تعالى ولا فخر افوق او ولا اقوله فخرا بل تحدثا بنعمة الله والثانى الاحتراز عن الافراط
فى المدح والعلاقية المؤدى المفضى الى الكذب كوصف الانسان لغيره وصفا كما جرت به
عادة علاقة الانكحة ببلادنا من وصف الزوج ووالده واهل الزوجة اذا كانوا
منطلعين للوصف بما ليس فيهم فيصف الجاهل بالعالم بل بالعلامة وذلك كذب صراح
والمؤدى الى الرياء بان يرى الناس ذلك الممدوح بوصف الكمال الخالى منه باطنا والاحتراز عن
القول بما يوصف لا يتحقق فى الموصوف ولا سبيل له الى الاطلاع عليه كالتقوى اذ محلها
القلب قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقوى ههنا ثلاثا واشار الى قلبه والورع والزهد
ولا نظر لتكلف ذلك ظاهرا فقد يخالفه الباطن وجاء فى الصحيح ان سعد بن ابى وقاص
قال يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله انى لاراه مؤمنا قال او مسلما فكرر الحديث
اى لا يمكنك العلم بايمانه قلبى لا اطلاع لك عليه فلا تجزم به بل يمكنك علم اسلامه
لمبناه على الظاهر فلا يجزم القول فى الوصف بمثلها بل يقول حينئذ احسب او اظن
او نحوهما مما يدل على عدم التحقق اعلام بالواقع والثالث ان لا يكون الممدوح فاسقا
اخرج ابن ابى الدنيا والبيهقى المرموز لهما بقوله دنيا فى كتاب ذم الغيبة هق فى الشعب
عن انس رضى الله عنه ان الله يغضب كناية عن الانتقام او ارادته صفة فعل او ذات اى
ينتقم من المادح اذا مدح بالبناء لغير الفاعل الفاسق لان الله ذمه وهذا
عارض ذلك فاسقا وفى رواية ابى يعلى وابن عدى المرموز لهما بقوله يعلى عدى الا ان
عند ابن عدى من حديث ابى هريرة اذا مدح الفاسق يغضب الرب لانه امر بمباعدته
سيما المجاهر بفسقه واهتز اى تحرك العرش لذلك لان فيه رضى بما فيه سخط الله وغضبه
والحديث ضعفه الحافظ العراقى والحافظ ابن حجر تلميذه والرابع ان يعلم المادح انه اى
المدح لا يحدث بضم حرف المضارعة فى الممدوح كبرا بكسر فسكون وعجبا بضم فسكون
كالمطفا لتفسير وعزوا بما مدح به فيمتنع ان احدث شيئا من ذلك اخرج الشيخان
المرموز لهما بقوله خ م عن ابى بكرة الثقفى انه اثنى رجل على رجل اى ذكر جميل وصفه عند
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا للمادح ويلك بالنصب
على المصدر بفعل محذوف وهى كلمة يقال لمن وقع فى هلكة يستحقها قطعت عنق صاحبك
قطعا معنويا بوقوعه فى العجب والكبر بما اثنيت به عليه ثلاثا ظرف لقال ومفعول
محذوف اى وكررها ثلاثا اهتماما به ثم قال من كان منكم ايها المؤمنون مادحا
لاخاه مثنيا عليه الثناء الجميل لا محالة بفتح الميم المهملة واللام اى لا بد فليقل احسب

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)